

البنية السردية ودورها في تشكيل الخطاب القصصي أ. أحمد بوعافية - المركز الجامعي تمنراست

الملخص:

لو أمعنا النظر اليوم في الكتابات السردية لوجدناها أكثر انفتاحية على آفاق النظم البنيوية من حيث اهتمامها بمظاهر البنية السردية وبنياتها الداخلية المُشكلة للخطاب السردى ، فهذا التحول نشأ عبر زخم من الدراسات والأبحاث النقدية المُطبقة على الفن السردى ، مما جعل السرديات الحديثة قابلة للتطور على مستوى العمق بفضل ازدهار النظريات الأدبية و الرُقي بالفكر النقدي المعاصر .

Résumé :

Si nous regardons aujourd'hui dans les écritures narratives nous avons trouvé plus grande ouverture sur les horizon de systèmes structurels en termes d'intérêt de leur apparences de la structure narrative et des structures internes constituant du Discours narratif, ce changement a surgi sur beaucoup des études et de la recherche critiques sur l'art narrative , qui a fait des narrativité modernes qui évoluera au niveau de la profondeur grâce croissance des théories littératures et la évolution de la pensée critique modernes.

المدخل:

بما أن مصطلح السرد أو السردية ارتبط ارتباطا وثيقا بالأدب منذ القدم فقد كان اليونان قد فسروا الظاهرة الأدبية بنسبتها إلى آلهة تسكن جبال الأولمب ، وفسرها العرب

بعدهم بنسبتها إلى شياطين تسكن وادي عبقر¹ فالنتاج الأدبي لدى العرب - ومثلهم اليونان - كان صورة البيئة بحدودها اللغوية والفكرية وتياراتها النفسية والاجتماعية ..²

لقد أصبحت الأدبية ، أي الخصائص التي تجعل من الأدب أدبا، هي محل الدراسة وموضوع علم الأدب ، فوجد الشكلاونيون الروس أنفسهم مضطرين إلى العناية بالخصائص الشكلية ، وخاصة الأدوات³، وحتى في الدراسات العديدة التي قامت لبحث أمر هذه الأشكال النثرية من الإنتاج الأدبي إهتم الدارسون برسالة النثر اللغوية بصرف النظر عن رسالته الفنية ، فبحثوا صور الصنعة في أشكالها المتعددة وتطورها إلى التعقيد والإسراف مرة ، أو إلى البساطة مرة أخرى تبعا لذوق العصر..⁴

وعندما تحرك الشكلاونيون الروس في أوائل القرن العشرين للعمل ، بدأت الدراسات الأدبية تخوض مجال الأدب، وما يتعلق به، وعملوا على إمكانية قيام نظرية للدراسة الأدبية حيث أنه منذ أقدم عصور الفكر النقدي كانت دراسة النص - ولا تزال - تعتمد في أحوال كثيرة على المناهج التي تهتم بحياة الأديب، أو ما يعرف بالمؤلف.

وبما أن الدراسات السردية جزء لا يتجزأ من الدراسات الأدبية والتي عادة ما تهتم بالسرديات فقد برزت العديد من الإشكاليات أمام من تصدى للبحث في ماهية السرديات: هل هي علم قائم بذاته ، أم هي مقارنة نظرية تجعل من المسردات موضوعا لها.⁵

ربما ان التنوع والتعدد اللذين عرفتهما الدراسات السردية عائد إلى الاهتمام بتكوين منظومة فكرية فلسفية تؤسس نقدا جديدا ينطلق من النص ذاته ، ويسمح بمقارنته من منطلقات عدة ..⁶

بما أن السرد فعل لا حدود له يتسع ليشمل مختلف الخطابات سواء كانت أدبية أو غير أدبية ، يبدعه الإنسان أينما وجد وحيثما كان، يصرح (رولان بارت) قائلا : " يمكن أن يؤدي الحكى بواسطة اللغة المستعملة شفاهية كانت أو كتابية ، وبواسطة الصورة ، ثابتة أو متحركة ، وبالحركة وبواسطة الامتزاج المنظم لكل هذه المواد إنه حاضر في الأسطورة والخرافة والأمثلة والحكاية والقصة ، والملحمة والتاريخ والمأساة والدراما والملهاة .."⁷.

من هذا المنطلق أنتجت الدراسات السردية الحديثة مفاهيم إجرائية تحلل النص السردى ، بغية معرفة الآليات الإبداعية التي تشكل وفقها النص .⁸

1- مفهوم السرد لغة واصطلاحاً :

أ- السرد لغة:

يرى (ابن وهب) أن سائر العبارة في لسان العرب إما أن يكون منظوماً أو منثوراً. فالمنظوم يتصل بالشعر ، والمنثور يتعلق بالكلام.⁹

وورد في المعجم الوسيط : ويقال سرد الحديث : أتى به على ولاء ، جيد السياق.¹⁰ وذكر في مختار الصحاح "أن (السرد) هو الثقب، و(المسرودة) المتقوبة. وفلان (يسرد) الحديث إذا كان جيد السياق له. و(سرد) الصوم تابعه .وقولهم في الأشهر الحرم : ثلاثة (سرد) أي متتابعة وهي ذو القعدة وذو الحجة ومحرم .¹¹

ب- السرد اصطلاحاً :

يقول (شريط أحمد شريط) أما اصطلاحاً فالكلمة تعني: التتابع وإجادة السياق، وأما من حيث الاصطلاح الأدبي فإنها تعني" المصطلح الذي يشتمل على قص حدث أو أحداث أو خبر أو أخبار سواء أكان ذلك من صميم الحقيقة أم من ابتكار الخيال".¹² وهناك العديد من التعاريف لمفهوم السرد حيث يذهب (عبد الملك مرتاض) إلى أن أصل السرد في اللغة العربية هو التتابع الماضي على سيرة واحدة وسرد الحديث والقراءة ... ، ثم أصبح السرد يطلق في الأعمال القصصية على كل ما خالف الحوار ، ثم لم يلبث ان تطور مفهوم السرد على أيامنا هذه في الغرب إلى معنى إصطلاحي أهم ، وأشمل بحيث أصبح يطلق على النص الحكائي ، أو الروائي أو القصصي برمته ، فكأنه الطريقة التي يختارها الراوي أو القاص ، أو حتى المبدع الشعبي ليقدم بها الحدث إلى المتلقي ، فكان السرد إذن نسيج الكلام ، ولكن في صورة حكي.¹³

أما (جان ميشال آدم) يقول " يمكن تحديد مصطلح السرديات بوصفها فرعاً من علم العلامات العام ،السيمولوجيا ..."¹⁴ وتذهب (مايك بال) إلى ما ذهب إليه (جيرار جينيت) بجعلها السرديات تتجدد من خلال العلاقات بين النص السردى والمحكي والقصة، ووفق ذلك تكون " السرديات علماً يقوم على البحث عن تأسيس نظرية للعلاقات بين المستويات الثلاثة دون الاهتمام بأحدها"¹⁵...

أما أيسر تعريف للسرد هو تعريف (رولان بارت) له بقوله "إنه مثل الحياة نفسها عالم متطور من التاريخ والثقافة"¹⁶

2- مفهوم البنية في النقد المعاصر :

برز مع مدرسة براغ مفهوم البنية إلى الوجود، كما صارت التحليلات البنيوية تحتل مكان الصدارة في البحث ، ففي دراسة اللغة أصبحت البنية هي البديل عن مفهوم العلاقات اللغوية عند (دي سوسور) ... وفي دراسة الأدب حلت البنية محل الشكل والأداء عند الشكلاونيوس الروس.¹⁷

لقد ظهر مصطلح " بنية" في مفهومه الحديث عند (جان موكاروفسكي) الذي عرف الأثر الفني بأنه ، "بنية" ، أي نظام من العناصر المحققة فنيا والموضوعة في تراتبية معقدة تجمع بينها سيادة عنصر معين على باقي العناصر ¹⁸.

إن مفهوم البناء في الآداب يدور حول إخراج الأشياء والأحداث والأشخاص من دوامة الحياة وقانونها ثم رصفه في بنية أخرى وقانون آخر هو قانون الفن فلكي تجعل من شيء ما واقعة فنية فيجب عليك كما يقول (شلوفسكي): "إخراجه من متواليات وقائع الحياة ، ولأجل ذلك فمن الضروري قبل كل شيء تحريك ذلك الشيء ...إنه يجب تجريد ذلك الشيء من تشاركاته العادية"¹⁹. يرتبط مفهوم البنية بمفهوم العلاقة داخل نسق معين ، فما يهم المنهج البنيوي ، هو العلاقة التي تقوم بين الأحداث والكلمات لا الأحداث ولا الكلمات في عزلتها.²⁰

يحدد بعض الباحثين البنية بأنها ترجمة لمجموعة من العلاقات بين عناصر مختلفة أو عمليات أولية، على شرط أن يصل الباحث إلى تحديد خصائص المجموعة والعلاقات القائمة فيما بينها من وجهة نظر معينة²¹

إن البنية أصبحت في مفهومها العميق تخدم المظاهر الأدبية بشتى أجناسها حيث أن استهداف الكشف عن بنية للقصة أو الرواية ، دفع إلى الكشف عن طبيعة اللغة فيهما ، الأمر الذي رجح الاستغناء عن المقاربات التاريخية للأدب من أجل مصادفة المنظومات الدلالية الفاعلة في الأدب.²²

إن القصة لا تتحدد فقط بمضمونها ، ولكن أيضا بالشكل أو الطريقة التي يقدم بها ذلك المضمون ، وهذا معنى قول (كيزر) : " إن الرواية لا تكون مميزة فقط بمادتها ، ولكن أيضا بواسطة هذه الخاصية الأساسية المتمثلة في أن يكون لها شكل ما، بمعنى أن يكون لها بداية ووسط ونهاية ". والشكل هنا له معنى الطريقة التي نقدم بها القصة

المحكية في الرواية ، إنه مجموع ما يختاره الراوي من وسائل وحيل لكي يقدم القصة للمروى له.²³

لأشك أن التحولات التي طرأت على بنية القصة القصيرة في العصر الحديث قد جعلتها تنتشر وتصبح كثيرة الاستخدام في واقعنا الأدبي المعاصر..²⁴

3- ماهية البنية السردية :

يقول (عبد الرحيم الكردي): "إن العالم الذي يأخذ منه السارد مادته هو نفسه العالم الذي يتوجه إليه بهدف الكشف عن حقيقته ، مما أدى إلى أن يتحد فيه المنبع والمصب ، وتصبح الوسيلة هي نفسها الغاية".²⁵

لقد تعرض مفهوم البنية السردية الذي هو قرين البنية الشعرية والبنية الدرامية في العصر الحديث إلى مفاهيم مختلفة وتيارات متنوعة ، فالبنية السردية عند (فورستر) مرادفة للحبكة ، وعند (رولان بارت) تعني التعاقب والمنطق أو التتابع والسببية أو الزمان والمنطق في النص السردى ، وعند (أدوين موير) تعني الخروج عن التسجيلية إلى تغليب أحد العناصر الزمانية أو المكانية على الآخر، وعند الشكلايين تعني التغريب ، وعند سائر البنيويين تأخذ أشكالاً متنوعة.²⁶

ف " السرديات فرع معرفي يحلل مكونات وميكانيزمات المحكي، ولكل محكي موضوع. إنه يجب أن يحكي عن شئ ما ، هذا الموضوع هو الحكاية. هذه الأخيرة يجب أن تنقل إلى (المتلقي) بواسطة فعل سردي هو السرد. السرد والحكي مكونان ضروريان لكل محكي"²⁷

فالسرد موجود أبدا بغض النظر عن اللغة أو الأمة أو الزمان أو المكان .لكن الأنواع متحولة لأنها تتحدد بالزمان وبالمكان²⁸ ، لذلك نرى أن البحث السردى قطع أشواطاً مهمة منذ الشكلايين الروس إلى يومنا هذا ، وقد ميز (سعيد يقطين) بين مستويين :

أولاً: علوم سردية : وتسعى بصورة خاصة إلى تشكيل تصور خاص لدراسة السرد ، وتحاول من خلاله الوصول إلى تشييد نماذج لها كفايتها العلمية.

ثانياً: نظريات سردية : وتتأسس بدورها على هواجس علمية ، لكنها وهي تهتم بالسرد ، تزوج في بحثها بين ما قدمته بعض العلوم السردية ، وبعض العلوم الأخرى بطريقة

تجعلها لا تنقيد بإجراءات علم معين من العلوم السردية ، وتجسدت هذه النظريات عموما بعد الحقبة البنيوية.²⁹

كما اهتم المنظرين والمفكرين منذ القدم بالنظريات السردية فـ (غريماس) مثلا يرى أن " إعداد نظرية للسردية la narrativité تبرر وتؤسس بحق للتحليل السردى بوصفه مجالا لبحوث مكتفية ذاتيا لا تنحصر في تحسين وشكلنة الأنماط السردية المتحصل عليها عن طريق عمليات الوصف المتعددة والمتنوعة فحسب، ولا في نمذجة هذه الأنماط التي تختزلها جميعا ، وإنما في إقامة بنيات سردية ، بوصفها هيئة مستقلة أيضا داخل الاقتصاد العام للسيميوطيقيا"³⁰

إن الاهتمام بنظريات السرد بصورة بالغة الوضوح في النقد الأدبي الحديث، جزء من حركة أوسع - ما قد يدعوه (توماس كوهن) تغير نموذج- في العلوم الإنسانية والاجتماعية.³¹

إن الرواية والقصة سواء محكيا أو مرويا يمر عبر القناة التالية :

الراوي ← القصة ← المروي له

وأن "السرد" هو الكيفية التي تروى بها القصة عن طريق هذه القناة نفسها، وما تخضع له من مؤثرات بعضها متعلق بالراوي والمروي له، والبعض الآخر متعلق بالقصة ذاتها.³² يعتقد البعض أن من يُقَدَّر السرد على أتم وجه هو أحسن القراء الممكن وجودهم : "القارئ الأعلى" أو "القارئ المعلم".³³ فـ " تسلسل الأفعال السردية رهن باعتقادات القارئ حول مجرى الأمور ،فالقائم بالسرد ملزم باحترام هذه الاعتقادات إلى حد أنه يمكن أن يقال إن القائم بالسرد الفعلي هو القارئ".³⁴

لذلك يرى الكثيرون أمثال (جيرار جينيت) أن المسرود له مثل السارد " عنصر من عناصر الوضعية السردية ، و يتموقع معه وجوبا في المستوى الحكائي ، وهذا ما يبعده عن إحتمال مطابقة مع القارئ تماما كما لا يتطابق السارد مع الكاتب".³⁵

على ضوء عدم تطابق السارد مع الكاتب فإن الشكلائية الروسية أهملت دور المؤلف في بناء الأدب ...وبذلك أصبح المؤلف في نظرهم ،مجرد أداة ،يتطور بواسطتها الأدب ،إنه مجرد خبير بعمله ، فالشاعر مثلا هو مجرد عامل يرتب المادة التي يصادف

وجودها بين يديه ،وليس فردا عبقريا ،أو صاحب رأي.. وهذا الموقف يعني نفي العلاقة السببية بين السيرة الادبية وبين المؤلف وبالتالي بينهما وبين الأدب.³⁶

4- الوظيفة السردية وعلاقتها بالسارد :

بما أن السارد هو الذي يقدم السرد فإننا سوف نتطرق لوظيفة السرد والسارد :

• وظيفة السرد

يقول (بول ريكور) إن الوظيفة السردية لا تزال قابلة للتحويل لكن تحولها لن يصل إلى حد الموت ، لأننا لا نستطيع أن نتخيل ما سيؤول إليه حال الثقافة عندما لا يوجد من يعرف معنى أن تروى الأشياء.³⁷ واجتهد الكثير من المفكرين حول وظائف السرد وتداخلاتها مع مستويات سردية أخرى فهذا (رولان بارت) يعتبر أن الوظائف والأفعال والسرد والقصة هي مستويات سردية ، تتشابك وتنظم لتشكل بنية سردية ...³⁸

يرى (سعيد يقطين) أن سرديات القصة تهتم بالمادة الحكائية من زاوية تركيزها على ما يحدد حكايتها ، وتميزها داخل الأعمال الحكائية المختلفة ... ويؤكد أن أي عمل حكاوي يتجسد من خلال : الأفعال ، الفواعل، الزمان ،والمكان (الفضاء).إن هناك أفعالا (أحداث) يقوم به فواعل (شخصيات) في زمان ومكان (فضاء) معينين.³⁹

من هذه الفكرة نرى أنه ليس هناك حاجة في داخل السرد إلى شرح فكرة أو تلخيص مغزى أو توجيه نصيحة أو موعظة ، لأن التركيب السردى نفسه يقول ، والصياغة نفسها هي التي تكشف عن المعنى أو التجربة ، وأي تدخل مباشر من هذا القبيل في داخل النسيج السردى يعد شيئا زائدا عن السرد ومفسدا لبنائه.⁴⁰

إن الشكل الأمثل للسرد ،كونه سردا يستشرف محتوياته وأشكاله الحكائية المحضة (وظائفا وأعمالا)⁴¹. فقد أثر أغلب الدارسين الإبقاء على السرديات في إطارها الذي تشيدت فيه نظرية المحكي باعتبارها قد أثبتت كفاية علمية بمقاربتها الداخلية التي تمتلك خاصيتين كبيرتين تتمثل الأولى في الاهتمام بالمحكيات بوصفها موضوعات objet لسانية منغلقة على ذاتها ، مستقلة عن إنتاجها وتلقيها ، وتمكن الخاصية الثانية في عرض المحكيات بعيدا عن تنوعها الظاهر ، أشكالا قاعدية ومبادئ تركيبية مشتركة ، وتكون هذه المبادئ والأشكال موضوع البحث فيها⁴²

وهذا ما يعرف بأنماط السرد لذا يميز الشكلائي الروسي (توماتشفسكي) بين نمطين من السرد :سرد موضوعي objectif ، وسرد ذاتي subjectif ، ففي نظام السرد الموضوعي يكون الكاتب مطلعا على كل شيء، حتى الأفكار السردية للأبطال ،أما في نظام السرد الذاتي فإننا نتبع الحكي من خلال عيني الراوي .⁴³ عموما فالسرد هو أداة من أدوات التعبير، فهو يوضح كل ما يصبو إليه السارد عن طريق صيغه المتعددة فقد يكون شفها أم كتابة أو عن طريق دلالات أخرى.

• وظائف السارد

مفهوم السارد ينطلق من كونه شخصية تخيلية أو كائنا ورقيا حسب (رولان بارت) ولهذا فهو يختلف عن المؤلف الحقيقي للعمل الأدبي ... فالسارد هو مانح السرد.⁴⁴ أي الذي يقوم بعملية سرد الحكاية فالسارد هو الذي يسرد أو يروي القصة وليس هو الكاتب أو المؤلف الحقيقي للقصة إذن فالسارد أداة في يد المؤلف ينجز به عمله الأدبي، لذلك تبدو المسافة الفاصلة بين الراوي والمؤلف واضحة، حتى لو بدا الراوي مشكلا الظل الفني للكاتب والمعبر عن رؤيته الفنية والفكرية ...⁴⁵

للسارد وظائف متعددة يقوم بها في حكايته وتتمثل أهم هذه الوظائف فيما يلي :

- الوظيفة السردية: حيث يبين لنا السارد مجريات الأحداث وذكر الشخصيات وتحديد معالم المكان والزمان.

- الوظيفة التفسيرية: قد يحتاج السارد في حكايته ان يبرز بعض الحقائق والتي يرى انها قد تدخل القارئ في نوع من الغموض أو الخروج عن سياق القصة سواء على مستوى الشخصيات أو الأحداث.

- الوظيفة الانتباهية: في بعض الأحيان يضطر السارد لتنبيه القارئ عن بعض الأحداث أو الشخصيات سواء أكان هذا التنبيه من عالم القصة أو من خارج القصة .

- الوظيفة التواصلية: من خلال استخدام تقنيات جذب القارئ المتمثلة في طبيعة الأحداث أو الشخصيات أو غيرها قد يتمكن السارد من بناء جسر للتواصل مع القارئ .

- الوظيفة التقييمية: حيث يعلق السارد على بعض الأحداث من منطلق مبادئه وأفكاره الخاصة.

- وظيفة إبلاغ: تتمثل في تبليغ رسالة للقارئ تتضمن موعظة أو حكمة أو ما شابه ذلك.

- وظيفة تنسيقية: فالسارد هو الذي ينظم الأحداث والحوار بين الشخصيات .

إن أهمية السارد في الإبداع القصصي شيء لا يختلف عنه إثنان "فالسارد هو الذات الفاعلة ... وهو الذي يرتب عمليات الوصف ، ... وهو الذي يجعلنا نرى تسلسل الأحداث بعيني هذه الشخصية الحكائية أو بعينه هو ، دون أن يضطر إلى الظهور أمامنا"⁴⁶ ، ف"السارد إذا لم يعرض أمامنا شيئاً فإنه ينقل لنا الوقائع التي يعرفها هو جيداً بخلاف القارئ الذي يجهلها تماماً وهذا ما ينتج في ظل غياب المدلول"⁴⁷.

5- علاقة البنيوية بالنص الأدبي :

يقول (تودوروف) أن النص الفردي هي ببساطة الوسيلة التي يمكن للمرء من خلالها أن يصف خصائص الأدب.⁴⁸ إن (تودوروف) يسخر من الفكرة التي تدعو إلى الانكفاء على خيوط النص الأدبي وتشريحها دون اللجوء إلى الحديث عن بنى الأنواع الفنية ، بحجة أن النص عبارة عن حدس غنائي وله حالته الفريدة⁴⁹.

لقد انطلقت النظرية السردية من مهاد النظرية البنيوية في إتكاؤها على النص بوصفه نظاماً مستقلاً ، فالتحليل التقني لبنية السرد يستدعي بالضرورة أدوات المنهج البنيوي.⁵⁰ يقول (عبد الرحيم الكردي) أن كثيراً من الباحثين لم يهتموا إلا ببنية النص نفسها ، باعتبار أن النص المادة الملموسة التي يمكن التعامل معها علمياً... لكن وجود بنية نصية لا ينفي وجود بُنى أخرى داخل النص نفسه.⁵¹

يرى (سعيد يقطين) أن النص متعدد الأبعاد والدلالات ، وهذا التعدد يملئ على السرديات أن تستجيب لمختلف الأمريات التي يقدمها لها النص في مختلف مستوياته وتباين أبعاده.⁵² إذ أن دائرة النص أوسع من دائرة النوع الأدبي ، لأن النوع الأدبي مجرد صيغة مضمنة في النص بينما النص نفسه إبداع حر ، وقد يتمرد هذا النص على الصيغة المميزة للنوع وقد يمزج بينهما وبين غيرها ، وقد يلتزم بها.⁵³

يقول (شكري عياد) "كل عمل أدبي شكله الخاص ، ولكن هذا لا ينفي أن النقد يستطيع أن يحدد الخصائص العامة للشكل الأدبي"⁵⁴، كما أن للنص علاقة وطيدة بالزمان يقول سعيد يقطين: إن مفهوم النص "لازمي" لأنه يتصل بخاصية متعالية

على الزمان هي " النصية ". صحيح نجد "النصية" تتغير بتغير الأزمنة والأمكنة ، لكن ما يتغير فعلا ليس "النصية" في ذاتها، ولكن تجلياتها العملية والمفاهيم التي بواسطتها نرصدها.⁵⁵

أما من حيث المكان فإن استعمال الفضاء يتعدى مجرد الإشارة إلى مكان من الأمكنة، إن الفضاء يخلق نظاما داخل النص ... ففي النص يغدو الفضاء بمعناه الأدبي هو المجلس وهو المكان الذي تتم فيه العملية السردية ، وقد تموضع فيها السارد والمسرود له.⁵⁶

فالنص كان محل اهتمام كبير من النقاد فلقد أقام (بارث) دراسته لـ "لغزية النص " وميز بين صفتين من النصوص فالنوع الأول هو صفة "النص القابل للقراءة " والذي يغلب عليه النصوص الكلاسيكية أما النوع الثاني فهو صفة " القابلية للكتابة" وهي التي تغلب على النصوص الحديثة....ويرى أن هذه الأخيرة تؤدي إلى تحطيم سكونية البنية⁵⁷ ،أما (دي سوسير) فيرى "أن بنية النص تشبه الكلام " ⁵⁸

فالبنية والنص يشكلان علاقة ترابط فيما بينهما فمن جهة لا يمكن لنص أدبي مترابط أن يكون بدون بنيوية ، كما لا يمكن من جهة أخرى تجسيد البنيوية من غير نص أدبي ، فالبنيوية تعتمد على النص والنص يعتمد على البنيوية ، وكلاهما يكمل الآخر.

6- تشكيل الخطاب القصصي من منظور السردية الحكائية:

لا يمكن فصل السرد عن الخطاب أو تجزئته ، فقد ترجح مصطلح السرد بين كونه خطابا شفويا أو مكتوبا .فالخطاب بوصفه مصطلحا مهما في الدرس السردى والبنيوي مر بمراحل طويلة، واستخدم بدلالات كثيرة ومتنوعة.⁵⁹

ولعل مشهدية الخطاب الحديث كان من الروافد التي عمقت المفهوم الجمالي للنص القصصي ، وأضفت عليه أبعادا فنية أخرجته من أسر التقليدية الصورية التي حكمت منطق الحكى ، وأرغمته على السير في منظور كلاسيكي ، ولم تعمق ، بل ولم تولي خصوصيات عناصر القصة من حدث وزمان وشخصيات أي اهتمام ، وهذه العناصر قد أضحت انفتاحية ومفتوحة في آن واحد على بنيات عدة من منظور السردانية الحديثة⁶⁰

يرى (تريفيتان تودوروف) أن المفاهيم السردية تعتمد على التمييز بين السرد بوصفه قصة ، والسرد بوصفه خطابا ، وذلك انطلاقا من دراساته البنيوية اللسانية في تحليل السرد ، فقد حدد مفهوم الخطاب وعلاقته بالحكاية ، وكيفية بناء الحوادث التي تؤلف القصة ونظام الأفكار والقيم التي يحكمها.⁶¹ ومن ثم فالقصة والسرد لا يوجدان في نظرنا إلا بواسطة الحكاية لكن العكس صحيح أيضا : فالحكاية (أي الخطاب السردية) لا يمكنها أن تكون حكاية إلا لأنها تروي قصة ، وإلا لما كانت سردية.⁶²

فهناك من اهتم بالجانب الوظيفي والدلالي في السرد ، وهناك من اعتنى بمظاهر الخطاب اللساني ، وهناك من وجه عنايته إلى تقنيات العمل الأدبي وطرائق تقديمه⁶³، حيث يرى (جيرار) أن تحليل الخطاب السردية هو دراسة العلاقات بين الحكاية والقصة وبين الحكاية والسرد وبين القصة والسرد (بصفتها يندرجان في خطاب الحكاية)⁶⁴

كما يرى (تودوروف) أن لكل عمل أدبي مظهرين ، وهو هنا يقصد المحكي فهو في الآن ذاته قصة Histoire وخطاب Discours ، فالمحكي قصة إذ هو يخبر عن حقيقة ما عن أحداث يمكن أن تكون قد وقعت ومن هنا تنبئ عن شخصيات يمكن أن تتطابق مع الحياة الواقعية ، والمحكي خطاب بوجود سارد يروي القصة ، وفي مقابل قارئ يدركها .⁶⁵

لقد فصل (جيرار جينيت) في كتابه - خطاب الحكاية- بين: (الحكاية ، القصة والسرد) حيث يطلق إسم القصة على المدلول أو المضمون السردية... وإسم الحكاية بمعناها الحصري على الدال أو المنطوق أو الخطاب أو النص السردية نفسه وإسم السرد على الفعل السردية المنتج...⁶⁶ ، يقول (سعيد يقطين): "إذا كنا في سرديات القصة نهتم بالمادة الحكائية.... فإننا في الخطاب نعني بـ " السردية" التي بواسطتها تتميز حكاية عن أخرى... قد تكون المادة الحكائية واحدة ، لكن أشكال تقديمها تختلف باختلاف الخطابات وأنواعها... "⁶⁷

فإذا كانت القصة هي التتابع للأحداث ، فالنص هو الخطاب المنطوق أو المكتوب المتعهد بالقول⁶⁸ ، إذ لا بد في كل خطاب سردي من مروي له ، يتجلى سرديا داخل الخطاب أو خارجه انطلاقا من أن أي خطاب يقتضي مخاطبا.⁶⁹

فبغض النظر عن الدور الذي يؤديه الخطاب من منظور السرد فإن له دلالة أخرى هي الدلالة السيميائية بحيث أن حقل التحليل السردى للخطابات هو بدون منازع الحقل السيميائي الذي عرف أثناء السنين الأخيرة التطورات الأكثر أهمية أو على الأقل الأبحاث النظرية والتطبيقات الأكثر عددا.⁷⁰

خاتمة:

بما أن السرد يعتبر من أهم الأساليب التي يستعملها الكاتب في تحويل أفكاره إلى كلام مسرود ليُعبّر عن ما يعتريه من شعور وإظهار ما يجول في خاطره بغية مُتعة القارئ وإعطاء معنى حقيقي لعمله الأدبي، لكن هذا التجسيد لن يتم الا بمشاركة أهم عنصر مُشكل للخطاب القصصي ألا وهي البنية السردية ، لأنها تجمع بين العناصر الفنية من جهة وبين الوظائف السردية من جهة أخرى لتخلق لنا في النهاية خطابا قصصيا ذو سردية حكائية ممتازة ، وهذا هو الدور الأساسي للبنية السردية والمتمثل في تشكيل الخطاب بعضه ببعض لتظهر أدبية النص في كامل حُلتها السردية .

الهوامش :

¹ - مخلوف عامر، مظاهر التجديد في القصة القصيرة بالجزائر،-دراسة-منشورات اتحاد الكتاب العرب،دمشق،1998، ص:09.

² - محمود عباس عبد الواحد ، قراءة النص وجماليات التلقي .بين المذاهب الغربية الحديثة وتراثنا النقدي.- دراسة مقارنة- دار الفكر العربي ط1، القاهرة ، 1996، ص: 06.

³ - عدنان بن ذريل،النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق-دراسة-منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2000 ،ص27.

⁴ - فاروق خورشيد ، في الرواية العربية-عصر التجميع-،دار الشروق ،ط2، القاهرة ،1975، ص: 16.

⁵ - سليمة لوكام: تلقى السرديات في النقد المغربي ، دار سحر للنشر ،تونس ، 2009 ، ص 147.

⁶ - ميساء سليمان الابراهيم ، البنية السردية في كتاب الإمتاع والمؤانسة، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق 2011 ص:29.

⁷ - سعيد يقطين : الكلام والخبر -مقدمة للسرد العربي- المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1997 ، ص19.

- ⁸ - ميساء سليمان الابراهيم ،البنية السردية في كتاب الإمتاع والمؤانسة ،ص:115.
- ⁹ - سعيد يقطين: الكلام والخبر -مقدمة للسرد العربي- ،ص:147.
- ¹⁰ - مجمع اللغة العربية، معجم الوسيط ، مكتبة الشروق الدولية، ط04، 2004، ص 426 .
- ¹¹ - محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ، مختار الصحاح ، مادة سرد، مكتبة لبنان، بيروت، 1986 ،ص 124.
- ¹² - شريط أحمد شريط: تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة 1947-1985، ص:28.
- ¹³ - عبد القادر بن سالم :مكونات السرد في النص القصصي الجزائري الجديد ،(بحث في التجريب وعنف الخطاب عند جيل الثمانينات) منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 2001 ص:56.
- ¹⁴ - سليمة لوكام: تلقي السرديات في النقد المغاربي، ص:149.
- ¹⁵ - المرجع نفسه، ص:150.
- ¹⁶ - عبد الرحيم الكردي ، البنية السردية للقصة القصيرة ،مكتبة الآداب، القاهرة ، ط03، 2005، ص 13.
- ¹⁷ عدنان بن ذريل : النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق ، ص 34.
- ¹⁸ - لطيف زيتوني " معجم مصطلحات نقد الرواية "مكتبة لبنان ناشرون ودار النهار للنشر ، لبنان ، 2002 ص 37.
- ¹⁹ - عبد الرحيم الكردي :البنية السردية للقصة القصيرة ،ص 16.
- ²⁰ - ميساء سليمان الابراهيم : البنية السردية في كتاب الإمتاع والمؤانسة ،ص:151.
- ²¹ - صلاح فضل ،نظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الشروق، مصر ط1، 1998، ص 122.
- ²² - عدنان بن ذريل ، النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق ،ص 82.
- ²³ - حميد لحداني : بنية النص السردى-من منظور النقد الأدبي-،المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 1991، ص:46
- ²⁴ - علي عبد الجليل: فن كتابة القصة القصيرة، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، 2005، ص: 20.
- ²⁵ - عبد الرحيم الكردي ،البنية السردية للقصة القصيرة ، ص 14.
- ²⁶ - المرجع نفسه ، ص18.

- 27 - سليمة لوكام : تلقي السرديات في النقد المغاربي، ص: 155.
- 28 - سعيد يقطين ، السرد العربي - مفاهيم وتجليات - دار رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة ، 2006، ص : 107 .
- 29 - سعيد يقطين: الكلام والخبر - مقدمة للسرد العربي - ، ص: 29.
- 30 - سليمة لوكام: تلقي السرديات في النقد المغاربي، ص 148.
- 31 - والاس مارتن: نظريات السرد الحديثة، ترجمة حياة جاسم محمد، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، مصر، 1997، ص 05.
- 32 - حميد لحداني : بنية النص السردى، ص: 45
- 33 - والاس مارتن: نظريات السرد الحديثة، ص: 212.
- 34 - سليمة لوكام: تلقي السرديات في النقد المغاربي ، ص: 162. نقلا عن كتاب الأدب والغربة لعبد الفتاح كيليطو.
- 35 - المرجع نفسه : ص: 136، نقلا عن كتاب G.Genette, Discours du récit.
- 36 - عدنان بن ذريل: النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق ، ص 29.
- 37 - بول ريكور: الزمان والسرد - التصوير في السرد القصصي - ترجمة : فلاح رحيم ، الجزء الثاني، دار الكتاب الجديد المتحدة ، لبنان 2006 ، ص 60.
- 38 - ميساء سليمان الابراهيم : البنية السردية في كتاب الإمتاع والمؤانسة، ص: 31.
- 39 - سعيد يقطين : الكلام والخبر - مقدمة للسرد العربي - ، ص 223 / 224.
- 40 - عبد الرحيم الكردى، البنية السردية للقصة القصيرة ، ص 14.
- 41 - رولان بارت، النقد البنيوي للحكاية ، ترجمة انطوان أبو زيد، منشورات عويدات ، بيروت - ، ط1، 1998، ص: 136.
- 42 - سليمة لوكام ، تلقي السرديات في النقد المغاربي ، ص: 155.
- 43 - حميد لحداني ، بنية النص السردى ، ص: 46.
- 44 - نجاة وسواس: السارد في السرديات الحديثة ، مجلة المخبر ، (جامعة محمد خيضر بسكرة) الجزائر ، العدد الثامن، دار الخلدونية للطباعة والنشر والتوزيع ، 2012، ص: 98.
- 45 - ميساء سليمان الابراهيم : البنية السردية في كتاب الإمتاع والمؤانسة، ص: 41.
- 46 - سعيد الوكيل: تحليل النص السردى - معارج ابن عربي نموذجا - مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر ، 1998، ص 63.
- 47 - سليمة لوكام: تلقي السرديات في النقد المغاربي ، ص: 58.

- 48- عدنان بن ذريل : النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق ، ص 82 .
- 49 - عبد الرحيم الكردي : البنية السردية للقصة القصيرة ، ص 27.
- 50- ميساء سليمان الابراهيم : البنية السردية في كتاب الإمتاع والمؤانسة ، ص:06
- 51- عبد الرحيم الكردي، البنية السردية للقصة القصيرة، ص 123.
- 52- سعيد يقطين ، الكلام والخبر -مقدمة للسرد العربي- ، ص :26.
- 53- عبد الرحيم الكردي : البنية السردية للقصة القصيرة ، ص 78.
- 54 - المرجع نفسه ، ص 64.
- 55- سعيد يقطين ، الكلام والخبر -مقدمة للسرد العربي- ، ص 48.
- 56 - ميساء سليمان الابراهيم : البنية السردية في كتاب الإمتاع والمؤانسة، ص:181.
- 57- عدنان بن ذريل : النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق، ص84/83.
- 58- عبد الرحيم الكردي : البنية السردية للقصة القصيرة ، ص:18.
- 59 - ميساء سليمان الابراهيم : البنية السردية في كتاب الإمتاع والمؤانسة، ص:17.
- 60 - عبد القادر بن سالم : مكونات السرد في النص القصصي الجزائري الجديد ، ص:56
- 61- ميساء سليمان الابراهيم : البنية السردية في كتاب الإمتاع والمؤانسة، ص:33.
- 62 - جبرار جينيت ، خطاب الحكاية (بحث في المنهج) ، ترجمة : محمد معتصم ، عبد الجليل الأزدي، عمر حلي، منشورات المجلس الأعلى للثقافة ، الدار البيضاء ، ط 2 ، 1997، ص:40.
- 63 - ناهضة ستار : بنية السرد في القصص الصوفي ، منشورات إتحاد الكتاب العرب ، دمشق، 2003، ص:80.
- 64 - جبرار جينيت : خطاب الحكاية ، ص:40.
- 65 - سليمة لوكام : تلقي السرديات في النقد المغاربي ، ص:77.
- 66- جبرار جينيت : خطاب الحكاية ، ص:39/38.
- 67 - سعيد يقطين : الكلام والخبر -مقدمة للسرد العربي- ، ص: 224.
- 68 - شلوميت ريمون كنعان ، التخيل القصصي-الشعرية المعاصرة- ، ترجمة لحسن أحمامة، دار الثقافة للنشر والتوزيع ،الدار البيضاء ، ط 1، 1995 ، ص: 13/12.
- 69 - ميساء سليمان الابراهيم : البنية السردية في كتاب الإمتاع والمؤانسة، ص:61.
- 70 - جوزيف كورتيس، مدخل إلى السيميائية السردية والخطابية، تر: جمال حضري، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط 1، 2007، ص 15.

